قصيدة

" صلوات في هيكل الحب "

دراسة بلاغية نقدية

لأبى القاسم الشابي

د/ أمينـــة سليـــــم

أستاذ البلاغة والنقد المساعد

ورئيس قسم البلاغة والنقـــد

كليـــة الدراسات الإسلامية والعربية للبنات

الإسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

طالعت ديوان أبى القاسم الشابي فى إعادة لقراءته قـراءة متأنية دقيقة ، فوقع اختياري على قصيدته المشهورة " صلـوات فى هيكل الحب " لتكون دراسة بلاغية نقدية ضمن بحوث حولية كليتنا الغراء.

وربما يتساءل سائل لماذا هذه القصيدة ؟ مع أن الشـاعر له من القصائد العديد وجلها من الأهمية بمكان للدراسـة ولـذا سأجيب عن هذا التساؤل .

لقد كان اختياري لهذه القصيدة لدراسة عطاء " أبى القاسم الشابي" من منظور بلاغي نقدي تميزت به هذه القصيـدة التـى تعتبر من أبرز قصائد الشاعر فى ديوانه " أغاني الحياة " وهـو كل عطاء الشاعر فى حياته الفنية القصيرة والتي طالما تغنى بها الأدباء والشعراء فى مصاف الرومانسية الحديثة ، كما أنها تعتبر أصدق تعبير عن مذهب الرمزية الحديثـة أيضـا ، والفلسـفة المثالية فى حميمية توضح علاقة الجمال بالطبيعـة ، وعلاقـة المتعة الجمالية بالنفس والإرادة.

صَلَوَاتُ فِي هَيْكَلِ اَلْحُبِّ

عَذْبَةٌ أَنْتِ كَالْطفُولِة ، كَالأَحْلاَمِ
كَاللحَنِ ، كَالصبَاحِ اَلْجدَيـــــد
كَالَسماءِ اَلْضحُوك كَاْلليلَةِ اَلْقمْراءِ
كَالْوردِ كَابْتِسَامِ الوليـــــــد
يَالهَا مَنْ وَدَاعة وجمـــــــال
وَشبَابٍ مُنَعَّمٍ أَمْلُـــــــودِ !
يَالَهَا مَنْ طهارة ، تَبْعَثُ الْتقديسَ
فى مَهجةِ الشَقىِّ العنيـــــدِ !
يَالَهاَ مَنْ رِقَةٍ تكَادُ يَرِفُ الــور
دُ مَنْهَا في الُصخرةِ الْجلمُود !
آىّ شئ تُراكِ؟هَل أنتِ" فينيسُ" ؟
تهَادَتْ بينَ الورىَ مَنْ جَديــدِ
لتُعيَد الْشبابَ والفْرَحَ المَعِـــــــــ
لَ للعَالَم الْتعيسِ الْعميـــــــد!
أم مَلاَكُ الْفردَوُسِ جَاَء إلى الأر
ضِ ليحيي رُوَح السلاَم الْعهيدِ!
أنْتِ .. مَا أنْتِ ؟ أنْتِ رسمٌ جَميلٌ
عَبْقرِى مَنْ فنّ هذاَ الْوجُــودِ

فِيك مَافيهَ مَنْ غُموض وعُمْـق
وَجمَالٍ مُقدسٍ مَعبُـــــــــودِ
أنْتِ .. مَا أنْتِ؟ أنْتِ فجْرٌ من الْسَّحر
تجلَّى لِقَلبىَ الْمعمـــــــــــودِ
فآرَاهُ الْحَياةَ فيِ مُونق الْحَســـــــن
وَجلَّى لهُ خَفَايا الْخُلُـــــــــودِ
أنْتِ رُوُحُ الْربيَع ، تخْتَـــــــــالُ
فى الدْنيَا فتِهْتَزُّ رائِعَاتُ الوُرُودِ
وَتهبُ الْحَياة سكرْىَ مَنْ العطـــــــر
ويدوى الوجود بالْتَغَريـــــــدِ
كُلَمَا أبْصَرَتْكِ عَيْناى تَمْشيـــــنَ
بخَطُو مُوقَّع كالْنَشيـــــــد
خَفَق الْقَلْبُ للحياةِ ، وَرَفّ الزّهــ
ـرُ فى حقْلَ عُمْرى الْمجْـرُودِ
وَانتشتْ رُوحيِ الْكئيبةُ بالحُـــبّ
وغَنَتْ كَالبُلْبُلْ الْغرّيـــــــدِ
أُنتِ تُحيينَ فيِ فُؤَادِى ما قـــــد
مَاَت فيِ أَمْسَّى الْسَّعيد الَفقيـــدِ
وتُشَدينَ فيِ خَرائِب رُوُحِـــــى
مَا تَلاَشى فِى عَهْدىِ الْمجْـدُودِ

منْ طُموحٍ إلى الْجمَال إلى الْفـــنّ
إلى ذَلك الْفضَاء الْبعيـــــــــدِ
وتبثِّينْ رِقَةَ الْشوْقِ ، والْأَحـــــلاَم
وَالشدْوِ ، والهوَى ، فيِ نَشِيـــدِى
بعْدَ أنْ عَانَقتَ كَآبةُ أيَامَـــــــيِ
فِؤادِي ، وَألْجمتَ تَغْريـــــــدِى
أَنْتِ أُنْشُودَةُ الأَنَاشيد، غِنَّـــــاكِ
إلهُ الْغنَاءَ ، رَبُّ الْقَصيـــــــدِ

فَيك شَبَّ الْشَّبابُ وشَّحة الْسّحْـــرُ
وشدوُ الهوىِ وعطرُ الـــــورود
وتراءَى الْجَمَال يُرقصُ رقصـــــاً
قُدْسَيَّاً ، علَى اَغَانِى الْوجُـــــودِ
وَتهادَتْ فيِ أُفْقِ رُوْحِـــكِ أوْزَانُ
الأُغانِي ، ورَقةُ الْتَغْرِيـــــــدِ
فَتمَايَلْتُ فى الْوجُود ، كَلحَـــــن
عَبْقَرِىَّ الْخيَالَ حلْوُ الْنَشِيـــــدِ
خُطُوات ، سكْرَانة بالأُنَاشِيـــــد
وَصوتٌ ، كرَجْع نَايِ بَعيـــــدِ
وَقوَامٌ ، يكادُ ينطْقُ بالألحـــــان
فيِ كلِّ وَقْفَةٍ وَقعُـــــــود

كُلُّ شيءٍ مُوَقّعٌ فِيك حَتَّـــــــــــى
لَفْتَةُ الْجيد ، وَاهْتزَازِ الْنُهُـــــود
أِنْتِ..أَنتِ الْحياةُ ، فيِ قُدْســـها السَّأ
مِى ، وفيِ سِحْرِهَا الْشَّجِى الْفريدِ
أِنْتِ .. أَنتِ الْحياةُ ، فيِ رقّـــــــــة
الْفَجْرِ وفى رَوْنَق الْربيع الْولِيـــــد
أِنْتِ .. أَنتِ الْحياةُ ، كُـــــــلُ أَوان
فَى رواء مَنْ الْشبَاب ، جَديـــــــدِ
أِنْتِ .. أَنتِ الْحياةُ فيكِ وَفيِ عينـــ
يك آيَاتُ سحْرِهَا الْممـــــــــدودِ
أِنْتِ دُنْيَا مَنْ الأناَشيد والأحـــــلاَم
والْسَحْر والْخَيـــــال الْمَديـــــــدِ
أَنْتِ فوْقَ الْخيَالِ والْشعَرِ ، والْـفنِ
وَفوَق الْنهَى وَفوْقَ الْحـــــــدُودِ
أنت قدسى ، ومَعْبَدى ، وصبَاحِـــى
وربيعيِ ، ونَشْوَتيِ، وخُلُـــــودىِ
يَا ابْنَةُ الْنَّورِ ، إنَّنيِ أَناَ وحْـــــدِى
مَنْ رَأَىَ فِيكِ رَوْعَةْ الْمعـــــبُود
فَدعينى أَعيشُ فيِ ظلْكَ الْعـــــذْبَ
وَفيِ قَرْبَ حُسْنك الْمَشْهَـــــــــود

عِيشَةُ لَلجمَال ، والْفَن والإلْهـــــَام
وَالطهْر ، والْسَّنى ، وَالْسُّجـــــوُدِ
عَيشة النَاسِك البَتُول يُناجى الـــــرَّ
بَ فيِ نَشْوَة الْذَّهُولِ الْشديـــــــدِ
وَامْنحَينى الْسَّلام وَالفرحَ الـــــــرُو
حِى ياَ ضَوَء فَجْرِى الْمنْشـــــــودِ
وأرحمينى ، فَقَدْ تَهدَّمتَ فى كـــــوَ
ن مَنْ اليْأسَ وَالْظَلامِ مُشيـــــــدِ
أنْقذينى مَنْ الأَسَىَ ، فَلقَدْ اَمسْـــَـيـــ
ت لاَ اَستطيعُ حَمل وُجـــــــودِى
فيِ شِعابِ الْزَمانِ وَالْموتِ أَمشْـــَى
تَحْتَ عبء الْحياةَ جَمَّ الْقيـــــــُودِ
وَأمُاشِى الْورَى ونَفسْى كَالْقـــَـبـــ
ر وقَلبَى كَالَعالَم الْمهُـــــــَدود
ظُلَمةٌ ، مَالَهاَ خِتَامُ ، وَهـــَــــــولَ
شَائعُ فَى سُكُونَها اَلمَمـــــــْدُود
وإِذَا مَا استَخفَنَى عبَثُ الْنـــــَّاسِ
تبسّمتُ فى أَسىَ وَجُمـــــــــود
بَسُمة مُرةَّ ، كَأَنِى بأستِـــــــــلّ
مَنْ الَشَّوكِ ذَابلاَتُ الـــــــــوُرود

وَانْفِخى فى مَشاعِرى مَرَح الْدنيـــاْ
وَشُدى مَنْ عَزمِى الْمُجْهـــــــودِ
وَابْعثى فِى دَمِى الْحرَارةَ ، علَّـــــى
أَتَغنّى مَع الْمُنى مِن جَديـــــــــدِ
وابْثُّ الْوَجُود انْغام قلـــــــــــبٍ
بُلبُلى ، مُكَبَّل بالْحَديـــــــــــد
فَالْصَباح الْجميلُ يُنْعشُ بالْـــــدفءِ
حَياة الْمُحطَم المْكَـــــــــــدُود
أنْقذينِي ، فَقَدْ سئمِتُ ظِلامَـــــــــى
أَنقذينى ، فَقَدْ مللَت رُكـــــودىِ
آهِ يا زهرتيِ الجَميلة لَوْ تَدريـــــن
ما جَدَّ فِى فُؤادِى الْوحَيـــــــــد
فِى فُؤَادى الْغَريبِ تُخلقُ أكـــــوانُ
مَنْ الِّسحر ذَاتُ حُسْنٍ فرَيـــــــد
وشُموسٌ وضاءةٌ ونجـــــــــومٌ
تنثُر النُورَ فِى فَضاءِ مَديـــــــــدِ
وربيعٌ كأنّه حُلمُ الشاعـــــــــــر
فيِ سَكرةِ الْشبَاب السَّعِيـــــــــد
وِرياضُ لا تعرفُ الْحلك الدَّاجـــى
ولاَ ثوُرَة الخْرَيفِ الْعنَـــــــــيد

وطيورٌ سحْرِيةٌ تتَنَاغَـــــــــــى
بأَنَاشِيد حُلوَة الْتغَرِيْـــــــــــد
وقَصُورٌ كَأَنَّها الْشَفَق المَّخضُــوب
أوْ طَلعْة الصبَاَح الَوليـــــــــدَ
وغيومٌ رقَيقْة تتَهـــــــــــادَى
كأَبَادِيد منْ نُثَار الــْــــــــوُرودُ
وَحيَاة شعْرِيةٌ هى عنْـــــــــــدِى
صُورةُ منْ حيَاَة اهْل الْخلَـــــود
كُل هذَا يُشيدُه سحرُ عيْنيـــــــك
والَهامُ حُسنُكِ الْمعَبـــــــــــُود
وَحَرامٌ عَليْك ان تهَدمِي مـــــــا
ما شاده الحسن فى الفؤاد العميد
وَحَرامٌ عَليْك ان تسْحقِى آمـــــاً
ل نفس تصبوا لعيش رغيـــد
مْنَك نرْجُو سعَادَة لمْ نجَدهْـــــَــا
فى حيَاْةَ الْوُرَى وسحْر الْوجُـــودِ
فَالإلَهُ الْعَظِيمُ لا يَرْجُمُ الْعَبـــــــدَ
إِذا كَانَ فيِ جَلالِ الْسُّجُـــــــودِ

أبو القاسم الشابى

نشأته :

ولد عام ١٩٠٦ فى " توزر " بتونس ، قـــرأ العربيـــة بالمعـــهد الزيتونى ، وتخرج فى مدرسة الحقوق التونسية ، وعلت شهرته ، ومـــات شابا[١]

كان شاعرا موهوبا ، ذا طبع انسانى ممتاز ، فى قلبـــه ابتســـامة مشرقة ، محبا للحياة. والده هو الشيخ محمد بن أبى القاسم الشـــابي درس فى الأزهر وتتلمذ على كل من الإمـــام محمـــد عبـــده ، وجمـــال الديـــن الأفغانى، ثم بجامع الزيتونة إلى أن صار قاضيا شرعيا ، وكان يحـــرص بشدة على تحفيظ ابنه القرآن الكريم ، ويأمل ان يكون من رجال الديـــن ، ولقد حقق الشاعر حرص والده ، فما أن بلغ التاسعة حتى أتم حفظ القـــرآن الكريم بكامله ، ثم أخذ والده يعلمه بنفسه أصول العربية ومبـــادئ العلـــوم الآخرى.

ثقافته :

وقد اطلع أبو القاسم الشابي على الكتب الدينية والصوفية والأدبيـــة من مكتبه والده ، وهى أهم ما تحويه مكتبة رجل دين صوفى [٢] .

---

(١) الاعلام – خير الدين الزركلى جـــ٥ ص ١٨٥ ط دار العلم بيروت

(٢) ابو القاسم الشابي حياته وشعره للأستاذ / أبو القاسم محمد كرو صـــ ٨٣ ط الشركة التونسية للطباعة .

يقول : أبو القاسم الشابي متحدثا عن أبيه " إنه أفـــهمنى معـــانى الرحمة والحنان ، وعلمنى أن الحق خير ما فى هذا العالم وأقدس ما فـــى هذا الوجود "

وفى عام ١٩٢٠ قدم ابو القاسم الشابي إلى العاصمـــة التونســية ودخل جامع الزيتونة وأقام فيه تسع سنوات نال إثرها شهادة الحقوق .

قامت صلة وثيقة بين الشابي وجماعة " أبوللو" وجماعة الديوان[١]

أعماله :

وفى عام ١٩٢٣ ظهر نتاجه الشعرى فى الصحف بتونس وفـــى عام ١٩٢٧ ظهرت له مجوعة من القصائد فى المجلد الأول من كتـــاب " من الأدب التونسى فى القرن الرابع عشر " تأليف الأستاذ / زين العـــابدين السنوسى .

وفى عام ١٩٢٩ توفى والده وكان هو أكبر الأبناء فحمل أعبـــاء الأسرة ، وتزوج محترما وصية والدة رغم تحذير الأطباء لـــه ونصحـــه بالامتناع عن كل نشاط فكرى وأدبى إلا أنه لم يمتنع ، حيث كان متحديـــا جميع معاكسات الحياة ، فنراه يقول :

خذ الحياة كما جاءتك مبتسمـــــــا

فى كفها الغار أو فى كفها العـــدم

(١) الشابي شاعر الحياة والموت – إيليا حاوني جـ١ صـ ٣٥ دار الكتاب اللبنانى .

وارقص على الورد والأشواك متئدا

غنت لك الطير أو غنت لك الرجم

واعمل كما تأمر الدنيا بلا مضـــض

والجم شعورك فيها إنها صنـــــــم

فمن تألم لم ترحم مضاضتـــــــه

ومن تجلد لم تهزأ به القمـــــــــم[1]

روافده الثقافية :

ومن العوامل التى أسهمت فى شاعرية ابى القاسم الشابي أنه نشـأ فى عصر رومانسية هبت أنسامها من الغرب وتنقلاته الكثيرة مـــع والـــده فى ربوع تونس الخضراء مع نفس تواقة إلى السمو والرقـــى بالاضافـــة إلى نبوغه المبكر.

وفى عام ١٩٣٤ اشتد عليه المرض ومات فى ٩ أكتوبـــــر عـــام ١٩٣٤ بتونس ثم نقل جثمانه إلى بلده " توزر" مسقط رأسه حيـــث مثـــواه الأخير .

(١) ديوان الشاعر صـــ ١٢٦ ط الدار العربية للكتاب بتونس.

صلوات فى هيكل الحب
دراسة بلاغية نقدية

يتناول الشاعر فى هذه القصيدة التى تنتمى إلى المدرسة الرومانسية الحديثة ، والتى تمثل بالنسبة له اتجاها مهما ، حيث ينتمى إلى جماعة "أبوللو " المعروفة فى مصر ، فيتمثل الشاعر محبوبة مثالية تتمتع بكل صفات الجمال والكمال ، ولا أظن انها موجودة فى الواقع ، وإنما فقط فى معبد الحب الذى عنون قصيدته هذه بها ، فنراه يقول :

عذبة أنت كالطفولة كالأحـــلام

كاللحن كالصباح الجديد

كالسماء الضحوك كالليلة القمراء

كالورد كابتسام الوليد

يستهل الشاعر البيت الأول ببراعة استهلال موفقة حيث وصف هذه المحبوبة مخاطبا إياها بأنها عذبة جميلة طاهرة طهارة الطفولة ، جميلة كالأحلام الوردية كاللحن الذى ترتاح إليه النفس ، كالصباح الجديد المشرق ، كل هذه التشبيهات المتتالية لها دلالات مختلفة يغلب عليها تراسل الحواس المتلاحقة ، فحين قدم الخبر " عذبة " على المبتدأ " أنت " للحفاظ على الانسجام الصوتى ، كذلك إرادة التخصيص بأسلوب قصر جيد ، ولو أنه ذكر هذه الجملة التى جاءت فى أسلوب خبرى على هيئتها

وقال : (أنت عذبة) لم يكن لها هذا الوقع فى النفس ولا أدى هذا الجمال من أسلوب القصر فى تقديم ما حقه التأخير ، وهو قصر " موصوف على صفة " وفى البيت أيضا براعة استهلال جيدة .

وفى البيت الثانى يستكمل الشاعر تشبيهاته فيخلع على محبوبته صفات أخرى لها دلالات مختلفة فهو يشبهها بالسماء الصافية الضحوك ، والليلة المقمرة التى يهتدى بنورها السارين كما شبهها بالورد فى جماله ورائحته ، ثم يردف هذا بتشبيهها بإبتسام الوليد فى طهرها ونقائها .

ونلمح بين الطفولة والوليد علاقة تلازم ، وبين السماء والليل علاقة تلازم أيضا .

وفى وصف آخر لمحبوبته نجده يقول :

يا لها من وداعة وجمـــــال
وشباب منعم أملـــود !
يالها من طهارة تبعث التقديس
فى مهجة الشقى العنيد !
يا لها من رقة تكاد يرف الورد
منها فى الصخرة الجلمود!

فى هذه الأبيات يتعجب الشاعر فيها من هذه الوداعة والهدوء والجمال والشباب المترف الناعم ، كذلك من الطهارة والعفة التى تبعث التقديس فى قلب الشقى العنيد ، كذلك الرقة والعذوبة التى يكاد يهتز الورد منها ، إذا كانا فى الصخرة اليابسة ، فهذه الصفات خلعها الشاعر على محبوبة لا وجود لها إلا فى خياله وفى معبده الذى يتقرب فيه بصلواته

كى تتحقق كل هذه الصفات فى الواقع وليس فقط فى الخيال . فالطهارة والتقديس والرقة التى يكاد يرف الورد منها كلها من الصفات المثاليه الجميلة ، التى تناولها (أفلاطون) وحدث عنها فى مدينته الفاضله . كلها من الصفات التى تسمو بالنفس وترتقى بها . وفيها مراعاة نظير ، ونلمح تأثره بالقرآن الكريم فى قوله : " فى مهجة الشقى العنيد " . " والصخرة الجلمود" **فى قوله تعالى : " وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله "** (١)

ويستكمل الشاعر معنا بعض الصفات فيقول :

أى شئ تراك ؟ هل أنت (فينيس)

تهادت بين الورى من جديد

لتعيد الشباب والفرح المعـــل

للعالم التعيس العميـــد

أم ملاك الفردوس جاء إلى الأر

ض ليحيى روح السلام العهيد

يتساءل الشاعر بقوله " أى شئ تراك " هل أنت فينيس ؟ إلهه الجمال والحب عادت إلينا من جديد ، وظهرت بين الناس تتهادى وتتبختر فى عزة ودلال لتعيد الشباب والفرح مرة آخرى للعالم التعيس العنيد ، ويتحير الشاعر فى جمال وطهارة محبوبته التى فى خياله ، فبعد ان تساءل عنها بقوله (هل أنت فينيس) **يقول بعد ذلك :**

(١) بعض اية ٧٤ من سورة البقرة

أم ملاك الفردوس جاء إلى الأر

ض ليحيى روح السلام العهيد

فى هذين البيتين نراه يشبه محبوبته مرة بأنها (فينيـــس) إلهـة الجمال والحب ، ومرة أخرى يشبهها بأنها (مـــلاك الفـــردوس) أو مـــا يعرف بالملاك الحارس الذى جاء من الجنة ليحيى ويعيـــد روح الســـلام القديمة بعد إماتتها ، والتشبيهان جاءا بهما الشاعر محذوفى الأداة وكأنـــه أراد أن يجعل المشبه عين المشبه به على سبيل التشبيه المؤكـــد ، وهـــذه الأبيات ربما جاء بها الشاعر على هذه الطريقة من باب تجاهل العـــارف **ومازال الشاعر مستمرا فى وصف هذه المحبوبة فيقول :**

أنت .. ما أنت ؟ أنت رسم جميـــل

عبقرى من فن هذا الوجود

فيك ما فيه من غموض وعمـــــق

وجمال مقدس معبـــــــود

أنت .. ما أنت؟أنت فجر من السحر

تجلى لقلبى المعـــــــمود

عاد يتساءل الشاعر مرة أخرى فى قوله : أنت .. ما أنت ؟ أنـــت رسم جميل ، فيصفها بعدة صفات مختلفة جميلة ، وكأنها لوحة رائعة فـــى خياله ابتدعتها ريشة الفنان فهو يشبهها بأنها رسم جميل عبقرى مـــن فـــن هذا الوجود الذى أبدعه الخالق وصوره ، ثم عاد يؤكد هذه الفكرة بقوله : فيك ما فيه من غموض وعمق وجمال مقدس معبود ، أى تتمتعين بما فـــى هذا الكون بكل هذه الصفات **فقوله :**

أنت رسم جميل عبقرى ، والوجود ، وغموض وعمق ، وجمـــال مقدس معبود.

كلها مفردات تلمح فيا فلسفة الشاعر التأملية تجاه الكون كما يـراه، **وقوله:**

" غموض وعمق " مراعاة نظير ، وجمال مقدس معبود علاقـــة تلازم ثم يعود فيكرر تساؤله مرة أخرى **فيقول :**

أنت ما أنت ؟ أنت فجر من السحر

تجلى لقلبى المعمـــــــــود

بعد أن كرر هذا التساؤل عدة مرات ، راح يشبهها بالفجر الـــذى أزال الظلمة والغيوم عن قلبه المريض ، فقيده بقوله :

فجر من السحر، والقيد واقع فى المشبه به ، قد كرر الشـــاعر الضمـير (أنت) ثلاث مرات مؤكدا بذلك تعلقه وحرصه على رؤية هذه المحبوبـة المثالية المحلقة فى خياله وليس لها وجود فى حقيقة الأمر .

ونسمع الشاعر يقول فى وصفها :

فأراه الحياة فى مُونق الحسن

وجلى له خفايا الخلـــــــــود

أنت روح الربيع ، تختـــال

فى الدنيا فتهتز رائعات الورود

لم يقل لها أنت الربيع ــ وإنما روح الربيع . فــإذا كــان الربيــع يحيى الورود والأشجار ويضفى على الدنيا جمال ، فأنت ســـر الجمـــال الذى يأتى به الربيع وتهتز الدنيا وتفرح به رائعات الــورود فــى خيــلاء وكبرياء وإعجاب بنفسها .

فقوله : أنت روح الربيع تشبيه محـــذوف الأداة والتقديــر أنـــت كروح الربيع ، وقوله "تختال فى الدنيا " تعبير موفــق مــن الشــاعر لأن الصورة عنده تكتمل بهذا الاختيال ، ولم يحدد لها مكانا بعد ، وإنما قـــال فى الدنيا.. وتختال أقوى من تمشى وأبلغ ، وطالما أنها كانت ربيع حياتــه وروح ربيع الدنيا فلا بد أن تهب الحياة والسرور والجمال والعطر الفــواح الذى يدوى فى الوجود بالتغريد ، وفى قوله :

" تهب الحياة سكرى من العطر " استعارة مكنية حيث شبة الحيــاة بإنسان من خصائصه ان يتعاطى شيئا يكون من شأنه أن يجد نفســه فــى هذه الحالة ، وحذف المشبه به وأبقى على صفة من صفاته علـــى ســبيل الاستعارة المكنية.

كذلك نجد فى قوله : " ويدوى الوجود بالتغريد " كناية عن الفــرح الذى يعم الدنيا ويملأ حياة الشاعر بالسرور ويجعله يغرد كما تغــرد مــن حوله الأطيار الفرحة ، وفى التعبير بالمضارع ما يفيــد تجــدد الأفــراح والتغريد .

ويبث الشاعر تجربته الإنسانية وألمه فى الحياة فنراه يقول :

كلما أبصرتك عيناى تمشيـــن

بخطو موقـــــــع كالنشيـــــد

خفق القلب للحياة ، ورف

الزهر فى حقل عمرى المجرود

وانتشت روحى الكئيبة بالحب

وغنت كالبلبل الغريـــــــــد

أنت تحيين فى فؤادى ما قـــد

مات فى أمسى السعيد الفقيـــد

وتشدين فى خرائب روحـــى

ما تلاشى فى عهدى المجـــدود

من طموح إلى الجمال إلى الفن

إلى ذلك الفضاء البعيـــــــد

وتبثين رقة الشوق والأحـــلام

والشدو ، والهوى ، فى نشيدى

بعد أن عانقت كآبة أيامـــــى

فؤادى ، وألجمت تغريـــــــدى

فى هذه الأبيات ينقل لنا الشاعر أحاسيسه ومشاعره ويبث شكواه، وألمه الذى يعيش به وداء قلبه الموجوع الكليم ، فكلما رآها تمشى بخطو منتظم وايقاع كالنشيد فى انسجام تام تحيى فيه الأمل وتعيد إليه الحياة كالنشيد الجميل ، ويعود قلبه ليخفق للحياة مهللا فرحا ، كما أن الزهور تعود لترف من جديد فى حقل عمره المجرود ، وتنتشى روحه الكئيبة المريضة وتعود للحياة مغردة كالبلبل الذى يغرد فرحا بالحياة ، وهذا البيت كناية عن الأمل الذى دب فى قلبه .

ويردف ذلك بقوله :

أنت تحيين فى فؤادى ما قد

مات فى أمسى السعيد الفقيد

فحبها ووجودها يسرى فى كيانة فيجدد فيه الأمل الذى مات بالأمس فى فؤاده ، وفقد فى أمسه السعيد ، ومازال الشاعر يبث شكواه فيقول :

وتشدين فى خرائب روحى ما تلاشى فى عهدى المجدود

فوجود هذه المحبوبة فى حياته ينتزعه ويخرجه من خرائب الفكر الذى تملكه واستولى عليه ، ما كان تلاشى ومضى فى عهده المتعب الكليم، ثم يقول :

من طموح إلى الجمال إلى الفن

إلى ذلك الفضاء البعيد

وتبثين رقة الشوق والأحلام

والشدو ، والهوى ، فى نشيدى

بعد أن عانقت كآبة أيامـــــى

فؤادى ، وألجمت تغريـــــدى

كل هذه الصفات بددت ظلمة حياته وجعلته يعيش فى أمل جميـــل وطموح للحياة الذى يدفعه للسعى إلى الفن والبحث عنه فى الفضاء البعيد، مما أخرجه من الكآبة والحزن حتى قال : إنك تبثين رقة الشوق والأحـــلام والغناء والحب فى نشيدى بعد أن تمكنت الكآبـــة مـــن فـــؤادى وألجمـــت تغريدى.

فى الآبيات السابقة التى بدأت بقول الشاعر :

كلما أبصرتك عيناى تمشيـــــن

بخطو موقع كالنشيـــــــد

فقوله : " تمشين " تعبير بالفعل المضـــارع الـــذى يفيـــد التجـــدد والحدوث مع استحضار الصورة وبين ابصرتك وعيناى علاقـــة تـــلازم. وقوله : " بخطو موقع كالنشيد " تشبيه ، فقد شبه وقع خطواتها المنتظمـــة بسيمفونية تعزف له نشيد جميل محبب للنفس ، وبين " تمشـــين بخطـــو " علاقة تلازم .

وفى قوله " خفق القلب للحياة " كنايـــة عـــن النشـــوة والســـرور واستقباله للحياة من جديد ، وعودة التفاؤل والأمل مـــرة أخـــرى ، **وفـــى قوله:** " ورف الزهر فى حقل عمرى المجرود" استعارة مكنية لأنه شـــبه عمره وحياته بالأرض الجرداء وحذف المشبه به وأبقى على صفـــة مـــن صفاته على سبيل الاستعارة المكنيـــة ، وبيـــن خفـــق القلـــب للحيـــاة ،

ورف الزهر تشبيه تمثيلي حيث شبه فرح وخفقان قلبه فى جسده العليل باهتزاز الزهر فى أرض جرداء ليس بها زرع ولا حياة ، وعلى هذا يكون التشبيه هيئة بهيئة .

وفى قوله : وانتشت روحى الكئيبة بالحب ، كناية عن تبدد الكآبة والحزن واستقبال بارقة الأمل .

وفى قوله : " وغنت كالبلبل الغريد " تشبيهه ، حيث شبه حياته بالحب بالبلبل المغرد فى فرح وسعادة ، وبين غنت والبلبل الغريد ، علاقة تلازم .

وفى قوله : (أنت تحيين فى فؤادى ما قد مات) كلمات توحى بالأمل وتجديد الفرح، وبين تحيين وما قد مات طباق ، ونلمح استعارة مكنية فى قول الشاعر " وتشدين فى خرائب روحى " فشبه روحه فى حالة الكآبة والألم بأرض خربة ، وحذف المشبه به وأبقى على صفة من صفاته على سبيل الاستعارة المكنية.

وهذا البيت معطوف على ما قبله للتناسب بين الخبرية لذا وجب الوصل ، مما يؤكد ذلك بقوله " ما تلاشى فى عهدى المجدود " فهو كناية عن مدى الألم الذى كان يعيشه فى تعاسة بالغة .

وفى قوله : " الجمال والفن والفضاء البعيد " مفردات موحية بالأمل ، والتطلع إلى عالم المثل الذى يسمو بالروح والعقل .

وفى قوله : " رقة الشوق والأحلام " والشدو والهوى ونشيدى " بين هذه المفردات مراعاة نظير .

وفى قوله : " وتبثين رقة الشوق والأحلام " هذا البيت معطـــوف على ما قلبه للتناسب بين الخبرية ، لذا وجب الوصل.

وفى قوله : " بعد أن عانقت كآبة أيامى فؤادى ، استعارة مكنيـــة جيث شبه كآبة قبله الحزين بالصديق ، وحذف المشبه به وأبقى على صفة من صفاته على سبيل الاستعارة المكنية.

كذلك فى قوله : " وألجمت تغريدى " فقد شبه نفســـه بـــالجواد ، وحذف المشبه به وأبقى على صفة من صفاته علـــى ســبيل الاســتعارة المكنية .

وفيه نلمح أثر الرمزية فى مناهضة الاستعمار .

وينتقل الشاعر إلى صفات أخرى فنراه يقول :

أنت أنشودة الأناشيـــد ، غناك
إله الغناء ، رب القصيـــد
فيك شب الشباب ، وشحه السحر
وشدو الهوى ، وعطر الورود
وتراءى الجمال يرقص رقصـا
قدسيا ، على أغانى الوجـود
وتهادت فى أفق روحـك أوزان
الأغانى ، ورقة التغريـــد
فتمايلتُ فى الوجود ، كلحـــن
عبقرى الخيال حلو النشيـد

خطوات ، سكرانة بالأناشيـــــد

وصوت ، كرجع نای بعيــد

وقوام ، يكاد ينطق بالألحـــــان

فى كل وقفة وقعـــــــــــود

كل شئ موقع فيك ، حتـــــــى

لفتة الجيد ، واهتزاز النهــود

فى قوله : " أنت أنشودة الأناشـــيد ، غنـــاك إلـــه الغنـــاء ، رب القصيد" بينما علاقة تلازم ، وبين " غناك والغناء جناس اشـــتقاق ، كمـــا يوجد بين " أنشودة والأناشيد " جناس اشتقاق ايضا، فقد شبهها بأنها أغنيـــة جميلة لها وقع جيد فى النفس .

وفى البيت التالى يقدم الجار والمجرور على الجملة الفعلية ليفيـــد التخصيص **فى قوله :** " فيك شب الشباب " الموشح والمزيـــن بالســحر ، وغناء للحب معطر بأريج الورود ، وكل هذه الصفات من بـــاب مراعـــاة النظير ، والأسلوب خبرى ثم يقول بعد ذلك إنـــه رأى الجمـــال يرقـــص رقصا قدسيا على أغانى الوجود ، وفى " يرقص رقصا " جناس اشـتقاق ، وبين " الرقص والأغان " علاقة تلازم . وفى قوله " الجمـــال يرقـــص " استعارة مكنية حيث شبه الجمال وهو شئ معنوى براقصـــة وهـــى شـــئ حسى ، وحذف المشبه به وأبقى على صفة مـــن صفاتـــه علـــى ســـبيل الاستعارة المكنية وفى قوله " قدسيا ، والوجود " بينهما مراعاة نظير .

وتهادت فى أفق روحك أوزانُ

الأغانى ورقة التغريـــــــدِ

فتمايلت فى الوجود ، كلحـــن

عبقرى الخيال حلو النشيد

خطوات ، سكرانة بالأناشيد

وصوت كرجع نای بعيـــد

طاف بخيال الشاعر ذكر محبوبته التى تواصلت معه فجاء طيفـــها يتهادى ملهما له بالقصائد الجميلة والألحان العذبة الشجية الرقيقة ، وعلـــى ذكرها تمايلتُ ورقصت فرحا وملأت الوجود بالأغانى وكأنى لحن عبقرى الخيال يرقص ويطرب لجمال الأناشيد والموسيقى بخطوات نشوانة عفويـــة لسماع هذا الصوت الجميل الذى يشبه صوت ترجيع وصدى الناى البعيد.

فنجد فى قوله : " أفق روحك " كناية عن السمو ، وان هذه الفتـــاة ليس لها وجود حقيقى ، وانما هو محـــض خيـــال وبيـــن قولـــه " أوزان الأغانى ورقة التغريد " مراعاة نظير ، وبين الأغـــانى والتغريـــد علاقـــة تلازم .

فى قوله : " خطوات سكرانة بالأناشـــيد " كنايـــة عـــن النشـــوة الحاصلة من الموسيقى والغناء ، واما الصوت الذى شبهه بترجيع النـــــاى البعيد فهو صوت الفتاة المثال الخيالية والأبيات فيها تراسل حواس .

ثم عاد ليذكر محبوبته فيقول :

وقوام ، يكاد ينطق بالألحان

فى كل وقفـــــــة وقعـــــود

كل شئ موقع فيك ، حتى

لفتة الجيد ، واهتزاز النهـــود

فأوصاف فتاته قوام جميل ينطق بالألحان فى كل حركة وسكنة وكل وقفة وقعود ، كل شئ حتى التفاته الجيد ، واهتزاز النهود ، باختصار شديد كل شئ فيك مرسوم بعناية وكأنه نغم متناسق تهتز وتطرب له القلوب والأبدان ، فنجد بين قوله " كل وقفة وقعود " طباق .

وبين " لفته الجيد ، واهتزاز النهود " مراعاة نظير وبين اللفتة والجيد علاقة تلازم .

ثم ينتقل الشاعر مهللا فرحا فى الأبيات الذى يقول فيها :

أنت ... أنت الحياة فى قدسها السا

مى ، وفى سحرها الشجى الفريد

أنت ... أنت الحياة فى رقة

الفجر وفى رونق الربيع الوليد

أنت ... أنت الحياة كل آوان

فى رواء من الشباب جديد

أنت ... أنت الحياة فيك وفى عينيـ

ك آيات سحرها الممدود

أنت دنيا من الأناشيد والأحلام

والسحر والخيال المديد

أنت فوق الخيال والشعر والفن

وفوق النهى وفوق الحدود

أنت قدسى ، ومعبدى وصباحى

وربيعى ، ونشوتى ، وخلودى

فى هذه الأبيات يكرر الشاعر أنت ... أنت الحياة مؤكـــدا بـــهذا التكرار فكرة تعلقه بهذا المثال الذى رسمه فى خيالـــه متجـــاوزا بذلـــك الحقيقة ، فهى الحياة فى قدسها السامى وفى ســـحرها الشـــجى الفريـــد ، وهى الحياة فى رقة الفجر وفى رونق الربيع الوليد ، وهى الحياة فى كـــل أوان ، فى رواء الشباب الجديد ، وفى عينيها آيات ســـحرها الممـــدود ، وخلال أربعة أبيات يشبه فتاته بأنها الحياة بكل ما فيها من جمال ورقـــة ، وربيع جديد وفجر يطل بإشراقه على حياته ليبعثه إلى الحيـــاة الجميلـــة بأغاريدها وأزاهيرها وسحرها الشجى الفريد .

فالأسلوب خبرى ومفردات الشاعر حافلة بالرومانسية معبرة عـــن مكنون نفسه ، بعد أن تبددت أحزانه واستقبل الحياة بـــأمل جديـــد وفجـــر جديد .

ثم ينتقل إلى أبيات أخرى يقول فيها :

أنت دنيا من الأناشيد والأحلام

والسحر والخيال المديـــــد

أنت فوق الخيال والشعر والفن

وفوق النهى وفوق الحـــدود

انت قدسى ، ومعبدى وصباحى

وربيعى، ونشوتى ،وخلودى

مازال الشاعر يخاطب فتاته المثال فيشبهها بدنيا من الأناشيد والأحلام والسحر والخيال الواسع ، ثم يردف ذلك بقوله : " انت فوق الخيال ، والشعر ، والفن وفوق العقل وفوق الحدود ، فقد شبهها بكل هذه الصفات بل تفوقت عليها ، كما يشبهها بأنها معبدة وقدسه ، وصباحه ، وربيع حياته ، ونشوته وخلوده ، فالأسلوب خبرى والألفاظ موحية للجو النفسى للشاعر فى إشراقة تعبر عن نفس حيرى وظمئ للجمال ، خصوصا فى ربيع الحياة ، وكأنها أنشودة جميلة بعثها فنان بعد أن أتعبها الجمود والنسيان ، والأبيات كلها تعبير صادق عما طاف بخياله .

ثم ينتقل الشاعر فى صفاء نفس إلى معان روحية باحثا عن الفن والجمال والإلهام والحب فنراه يقول :

يا ابنة النَّور ، إننى أنا وحدى

من رأى فيك ، روعة المعبود

فدعينى أعيش فى ظلك العذب

وفى قرب حسنك المشهود

عيشة للجمال ، والفن والإلهام

والطهر ، والسنى والسجود

عيشة الناسك البتول يناجى الر

ب فى نشوة الذهول الشديد

وامنحينى السلام والفرح الرو

حى يا ضوء فجرى المنشود

وارحمينى ، فقد تهدمت فى كو
ن من اليأس والظلام مشيـد
أنقذينى من الأسى ، فلقد أمسيـ
ـت لا أستطيع حمل وجودى
فى شعاب الزمان والموت أمشى
تحت عبء الحياة جم القيود
و أماشى الورى ونفسى كالقبـ
ـر وقلبى كالعالم المهـــــدود
ظلمة ، ما لها ختام ، وهـول
شائع فى سكونها الممـــدود
وإذا ما استخفنى عبث النـاس
تبسمت فى أسى وجمـــــود

ينتقل بنا الشاعر من الأسلوب الخبرى إلى الأسلوب الإنشـــائى ، ومن الخيال إلى الطبيعة ، فنراه يخاطب الوردة فى أسلوب إنشائى طلبـى بديع فيقول :

" **يا ابنة النَّور** " والعبارة كما نرى نداء استخدم فيه الشاعر نـداء البعيد ، وربما كان قريبا منها ، وذلك لبعد مكانتها وصعوبـة الحصـول عليها ، ثم يعود فينتقل إلى الاسلوب الخبرى بقوله " إننى أنا وحدى مـن رأى فيك روعة المعبود " فهو يؤكد انه وحده لاغيره الذى يـرى روعـة جمال هذه الزهرة وكيف ابدعها الخالق ، وهذا من قبيل أسـلوب القصـر بطريق التقديم وهو من الأساليب التى تعطى معنييـن للجملـة الواحـدة

الإثبات والنفى الضمني ، كما يظهر فى مفردات هذا البيت سمو روحه وصفائها فعلم ورأي صنعة الخالق وروعة المعبود .

وفى البيت التالى يلتمس منها فى أسلوب أمر لطيف خرج للرجاء والتوسل **حيث يقول:**

" فدعينى أعيش فى ظلك العذب وفى قرب حسنك المشهود "

يتأمل الشاعر هذه الزهرة ويرجو ان يعيش فى ظلها وكأنه يحتمى بها من كآبة الأيام وتصاريف الزمان ، لينطلق إلى حياة الجمال والفن ، والإلهام ، والطهر ، والسنى والسجود، كل هذه المفردات التى اختارها الشاعر بعناية ليؤكد لنا أنه يصلى فى محراب الحب الخالص الذى يحلول ان يغنى فيه ويتعبد فى محرابه ، ومفرداته هذه يتوجه بها تجاه العبادة الخالصة لله سبحانه وتعالى : يؤكد ذلك كلامه فى البيت التالى الذى يقول فيه :

عيشة الناسك البتول يناجى الر

ب فى نشوة الذهول الشديد

إنه يريد ان يحيا حياة الناسك المتعبد الذى يناجى ربه ولا هم له إلا أن يعيش فى روحانيات العبادة وفى نشوة الذهول الشديد ، وهذه النظرة منه تدل على إيمان كبير .

وبين مفردات هذا البيت مراعاة نظير والأسلوب خبرى ، ونلمح فى هذه الأبيات اتجاه الشاعر وميله إلى الصوفية ثم يعود فيؤكد هذا فى الأبيات التالية **فيقول :**

وامنحينى السلام والفرح الرو

حى يا ضوء فجرى المنشود

وارحيمنى ، فقد تهدمت فى كو

ن من اليأس والظلام مشيد

أنقذينى من الأسى ، فلقد امسيـ

ت لا استطيع حمل وجودى

فى شعاب الزمان والموت أمشى

تحت عبء الحياة جم القيود

وأماشى الورى ونفسى كالقبـ

ر وقلبى كالعالم المهـــدود

ظلمة ، ما لها ختام ، وهـــول

شائع فى سكونها الممـدود

وإذا ما استخفنى عبث النـــاس

تبسمت فى أسى وجمـود

ينقلنا الشاعر مرة أخرى من عالم الخيال والصوفيـة إلـى عـالم الواقعية فى أسلوب انشائى طلبى ، **فقوله :**

" وامنحينى السلام والفرح الروحى " ، " وانقذينى " ، " وارحمينـى " كلها من اساليب الأمر التى خرجت للتوسل والرجاء وربمـا للتمنـى ، وفى قوله " يا ضوء فجرى المنشود " أسلوب نداء انشائى طلبى خرج إلـى التمنى ونلمح بين السلام والفرح الروحى والضوء والفجر المنشود بينـها علاقة تلازم .

وفى قوله : " تهدمت ، اليأس ، الظلام" مراعاة نظير ، ويمكن ان يكون بينها علاقة تلازم .

وفى قوله : " فلقد أمسيت لا استطيع حمل وجودى " كناية عن شدة الألم والمعاناة

وفى قوله :

فى شعاب الزمان والموت أمشى

تحت عبء الحياة جم القيود

وأماشى الورى ونفسى كالقبـ

ـر وقلبى كالعالم المهـــدود

جم القيود : كناية عن كثرة متاعبه وألمه فى الحياة وقد شبه نفسه بالقبر فى الظلمة والوحشة ، وشبه قلبه بالعالم الخرب المهدود وبين " أمشى وأماشى " جناس اشتقاق وبين " نفسى وقلبى " علاقة تلازم ، وبين " الورى ونفسى والعالم " مراعاة نظير .

فاليأس ، والظلام ، والأسى والموت ، والقبر وعبء الحياة ، والعالم المهدود ، والهول ، والسكون وعبث الناس ، وأسى ، وجمود ، كلها مفردات تدل على حزن دفين ، ومرارة يعانيها الشاعر .

وبين الموت والحياة طباق ، واليأس والظلام والأسى والجمود ، مراعاة نظير وبينها علاقة تلازم .

هذه هى النفس الرومانسية التى عُرفت عن الشاعر ، فمرة نجـــده يقبل على الحياة ،ومرة أخرى نجده يتشاءم ويحزن حين شبه نفسه بـــالقبر الموحش المظلم ، وقلبه بالعالم المهدود.

ثم ينتقل الشاعر مرة أخرى فنراه يقول :

بسمةُ مُرةٌ كأنى أستـــــــــــل
من الشوك ذابلات الورود
وانفخى فى مشاعرى مرح الدنيا
وشدى من عزمى المجهود
وابعثى فى دمى الحرارة علىَّ
أتغنى مع المنى من جديد
وأبث الوجودَ أنغام قلـــــــبِ
بُلبَلِي ، مُكبلُ بالحديـــــد
فالصباح الجميل ينعش بالدفء
حياة المحطم المكـــــدود
أنقذينى ، فقد سئمت ظلامـــــى
أنقذينى ، فقد ملكك ركودى

يقول الشاعر تبسمت بسمة مُرة عليلة كأنى أســـتل أو أنـــزع من الشوك الورود الذابلة ، تشبيه غريب مبتكر ، فتشبيه الابتسامة وانتزاعـــها من نفسه المريضة كانتزاعه الورود الذابلة من الشوك من قبيـــل التشـــبيه التمثيلى .

ثم يقول الشاعر :

وانفخى فى مشاعرى مرح الدنيا

وشدى من عزمى المجهود

وابعثى فى دمى الحرارة ، علىَّ

أتغنى مع المنى من جديد

فى هذين البيتين يتمنى الشاعر فى قوله : انفخى ، شدى ، وابعثى " من الأساليب الإنشائية الطلبية التى خرجت إلى التمنى ، ان يقبل بمشاعره وأحاسيسه على الدنيا ، وأن يشد عزمه المريض المتعب ، والبيت كله كناية عن تفاعل الشاعر ، كما تمنى أن تبعث فى دمه الحرارة لعله يعيش مع المنى ويتغنى بأغاريد الحياة .

والبيتان يجمع بينهما الاتفاق فى الإنشائية لفظاً ومعنا وذلك وجب الوصل ، وهو ما يعرف بالتوسط بين الكمالين .

وفى قوله :

وأبث الوجود أنغام قلـــــب

بلبلى ، مكبل بالحديـــــد

فالصباح الجميل ينعش بالدفء

حياة المحطم المكـــــدود

أنقذينى ، فقد سئمت ظلامى

أنقذينى ، فقد مللت ركودى

فى البيت الأول يبث الشاعر أسراره ومكنون صدره ويعزف على انغام قلبه المغرد كتغريد البلبل لكنه فيده بقوله " مكبل بالحديد " هذا القيد الواقع فى المشبه به يمكن ان يقول قائل انه غير مناسب لسياق المفردات السابقة ، ولكنى ألمح أثر الرمزية فى هذا القيد وهو الاستعمار الجاسم على قلب الوطن العربى وخصوصاً تونس بلد الشاعر وهذا ما جعله يلجأ إلى هذا التعبير وقد وفق فى اختياره فالتعبير بالجملة الفعلية " أبث " أفاد التجدد والحدوث مع استحضار الصورة ، وقوله " الوجود" يقصد بلدان الوطن العربى " انغام قلب وبلبل " بينها تلازم (وبلبلى) إضافة ياء المتكلم إلى بلبل للاختصار مع استحضاره فى الذهن والأسلوب خبرى ، ويردف هذا بقوله : فالصباح الجميل ينعش بالدفء حياته المحطمة المكدودة ، ثم فى آخر هذه الابيات يعود إلى النبرة الحزينة فنجده يقول :

أنقذينى أيتها الزهرة الجميلة فقد سئمت ظلامى ، ويكرر أنقذينى مرة أخرى فقد مللت ركودى وهذا التكرار من شأنه ان يؤكد المعنى ويقويه ، وهو بذلك يلح علينا بفكرة الإنقاذ من المرض والكآبة والحزن الذى كان يعانيه وفى قوله " انقذينى " أمر خرج إلى التوسل والرجاء وقوله " سئمت ظلامى " ومللت ركودى " موحية بالأسى والألم ، وبينهما مراعاة نظير ، والأسلوب إنشائى طلبى .

ثم ينتقل الشاعر إلى وصف آخر فيقول :

آه يازهرتى الجميلة لو تدرين
ما جد فى فؤادى الوجيد
فى فؤادى الغريب تخلق أكوان
من السحر ذات حسن فريد

وشموس وضاءة ونجـــــوم

تنشر النور فى فضاء مديـد

وربيع كأنه حلم الشاعـــــر

فى سكرة الشباب السعيـــد

ورياض لا تعرف الحلك الداجى

ولا ثورة الخريف العنيـــد

وطيور سحرية تتناغـــــــى

باناشيد حلوة التغريـــــد

وقصور كأنها الشفق المخضوب

أو طلعة الصباح الوليـــــد

وغيوم رقيقة تتهـــــــادى

كأباديد من نثار الـــورود

وحياة شعرية هى عنـــــدى

صورة من حياة أهل الخلود

كل هذا يشيده سحر عينيـــك

والهام حسنك المعبـــــــود

وحرام عليك أن تهدمى مـــا

شادة الحسن فى الفؤاد العميد

وحرام عليك ان تسحقى آمـــا

ل نفس تصبوا لعيش رغيـد

منك نرجو سعادة لم نجدهـــا

فى حياة الورى وسحر الوجود

فالإله العظيم لا يرجم العبـد

إذا كان فى جلال السجـــود

يفصح الشاعر فى مخاطبة للزهرة فيبثها أسراره وآهاته ولواعـج نفسه الحبيسة وفؤاد أضناه الألم فنراه يقول :

آه يازهرتى الجميلة لو تدرين

ما جد فى فؤادى الوحيـــد

فى فؤادى الغريب تخلق أكوان

من السحر ذات حسن فريد

ربما أيقظت هذه الزهرة الجميلة أشياء سعد بها قلبه الذى وصفـه بأنه وحيد غريب ، وفيه تخلق أكوان من السحر ذات حسن فريد ، نجـد فى هذه العبارة تقديم الخبر على المبتدأ وهو من طريق القصر " تقديم مـا حقه التأخير " ويفيد قصر الموصوف على الصفة ، وشـموس وضـاءة ، ونجوم تنثر النور فى فضاء مديد لا نهاية له ، وربيع يشبه حلم الشـاعر فى سكرة الشباب السعيد وحدائق لا تعرف الظلام والديـاجى ولا ثـورة الخريف العنيد ، وطيور سحرية تتناغى وتتناغم وتغنى بأناشـيد حلـوة ، وقصور تشبه الشفق الأحمر القـانى كـالمخضب بالحنـاء ، أو كطلعـة الصباح الوليد الجديد.

ثم يردف ذلك بقوله :

وغيوم رقيقة تتهـــادى

كأباديد من نثار الورود

وصف الشاعر الغيوم بالرقة فى اتيانها بـــــهدوء لطيــف كعبــق الورود المنثورة ، والتى تملأ الجو بالعطر والأريج ، وكلها مفردات يعــبر بها عن نفسه وألمه ، فهذه الغيوم هى غيوم نفسه والتى لم تصفُ بعد مــن كدرها ، ثم يردف ذلك بقوله :

وحياة شعرية هى عنـــــدى

صورة من حياة أهل الخلـــــود

عاد الشاعر بخياله إلى عالم المثال والخلود ، فالحيـــاة الشــعرية المحلقة فى الخيال المجنح صورة من حياة اهل الجنة او كما عبر عنـــهم بحياة أهل الخلود ، وهى ومضات صوفية ثم ينتقل إلى عالم آخـــر ربمــا إلى الفتاة المثال فيقول :

كل هذا يشبه سحر عينيـــــك

وإلهام حسنك المعبـــــــود

فكل ما ذكره من صفات جميلة يظهره سحر عينيــك مــن إلــهام حسنك المعبود ، " إلهام ، الحسن ، المعبود " مفردات صوفية ، ثم يــردف ذلك بقوله:

وحرام عليك ان تهدمـــــــى ما

شادة الحسنُ فى الفؤاد العميــد

وحرام عليك أن تسحقى آمـــــا

ل نفس تصبوا لعيش رغيـــــد

فى هدين البيتين يستحلفها بألا تهدم ما شيده الحسن فـــــى الفـــؤاد الكليل المريض من أمل وتفاؤل وبين " تهدمى ، وتسحقى " مراعاة نظـــير وتلازم .

كذلك تكون آثمة ان هى ضيعت آمال نفس كانت تصبـــو لرغـــد العيش وقد وصل بينهما والبيت السابق للتناسب فى الخبرية لفظا ومعنـــى وهو من التوسط بين الكمالين .

ثم نراه يختم القصيدة بقوله :

منك نرجو سعادة لم نجدهـــــا

فى حياة الورى وسحر الوجـــــود

فالإله العظيم لا يرجم العبـــــد

إذا كان فى جلال السجـــــــــــود

يتوجه الشاعر في ختام هذه القصيدة للحق تبـــارك وتعـــالى بيـــن الخوف والرجاء متطلعا إلى سعادة لم يحصل عليها ولن يجدها فى حياتـــه مع الخلق وسحر الوجود ، ثم ينهى قصيدته بحسن انتهاء موفق تظهر فيـــه ومضات الإيمان واخلاص العبادة لله ،

فالإله العظيم لا يرجم العبد

إذا كان فى جلال السجـــــــود

نظرات نقدية على النص

قصيدة الشاعر التونسى أبى القاسم الشابي " " صلوات فى هيكل الحب " تعبر أصدق تعبير عن الروافد الثقافية التى نهل منها الشاعر فى صباه وشبابه ، فنجد فيها ابتداء من عنوانها إلى ختامها رموز ومصطلحات صوفية يرمز بها إلى عوالم كثيرة منها نظرته إلى الكون والطبيعة ، والمرأة المثال ، والموت، ومعاناته النفسية والاجتماعية ، وقبل ذلك نظرته إلى الاستعمار الجاسم فوق الوطن العربى .

فقد استخدم تراسل الحواس فى هذه القصيدة ، كما استخدم الخيال والإلهام والرموز الصوفية ، ولذا سأقف وقفة متأنية فى كل مذهب من المذاهب السابقة لنرى صورة القصيدة فى ميزان النقد الحديث.

فنرى الدكتور غنيمى هلال [1] يتناول تراسل الحواس ويعرفه بقوله:

يقصد الرمزيون بـ " تراسل الحواس " وصف مدركات كل حاسة من الحواس بصفات مدركات الحاسة الأخرى فتعطى المسموعات ألوانا وتصير المشمومات أنغاما وتصبح المرئيات عاطرة ... وذلك ان اللغة فى أصلها اصطلح عليها لتثير فى النفس معانى وعواطف خاصة.

---

(١) النقد الأبدى ص ٤١٨ د/ غنيمى هلال ، وانظر ابن الغارص دراسة نقدية ص ٨٠ د/ عبد الخالق محمود.

والألوان والأصوات والعطور تنبعث من مجال واحـــد ، فنقـل صفاتها بعضها إلى بعض يساعد على نقل الأثر النفسى أو قريبـا منـه ، وبذا تكمل اداة التعبير بنفوذها إلى نقل الأحاسيس الرقيقة ، وفى هذا النقـل يتجرد العالم الخارجى من بعـض خواصـه المعـهوده ليصـير فكـرة أو شعورا، وذلك أن العالم الحسى صورة ناقصة لعـالم النفـس الأغنـى والأكمل.

وممن دعا إلى الاستعانة بتراسل الحواس ، لكمال التعبير بالصور الشاعر الفرنسى "بودلير" [1] ويتبع الوسيلة السابقة وسيلة رمزية أخـرى هى اضفاء شئ من الغموض والابهام على الصورة الشعرية بحيث تحـدد بعض معالمها لتبقى فيها معالم اخرى ظليلة موحية ، فلا ينبغـى تسـمية الشئ فى وضوح لأن فى التسمية قضاء على معظم ما فيه من متعة ذلـك لأن الألفاظ اللغوية قاصرة عن التعبير عما فى الشئ من دقائق يوحى بـها هذا الغموض ، على أنه يجب ان يكون غموضا يشف عن دلالته بالتـأمل وهذا ما يعبر عنه الشاعر " فرلين" **فى قوله:**

" أحب شئ إلى هو الأغنية السـكرى ، حيـث يجتمـع المحـدد الواضح بالمبهم اللا محدد "[2]

ثم أن الأهمية الأولى للظلال لا للألوان " كما تـتراءى العيـون الساحرة من خلف النقاب"[3]

---

(١) النقد الأدبى ص ٤١٩ د/ غنيمى هلال .

(٢) النقد الأدبى ص ٤١٩ د/ غنيمى هلال نقلا عن فرلين ص ٥٧٨

(٣) نفس المصدر السابق

والرمزيوم يكرهون فى الصورة اللهجة البيانية الخطابية بوسائلها التقليدية ، لأنهم يريدون التعمق فى تصوير المعانى العصية المتوارية فى خفايا النفس .[١]

والشعر الرمزى شعر مجنح يحلق فى أجواء نفسية لا عهد للغة بها.

كما نجد الدكتور عاطف جودة فى كتابه الخيال مفهوماته ووظائفه يوضح علاقة الخيال بالوحى فيقول :

لم يكن الاشراقيون والعرفاء أو من التفت لعلاقة الوحى بالخيال ، ذلك أن المفكرين المسلمين من أتباع أرسطو والأفلاطونية المحدثة قد التفتوا لهذه العلاقة من الخيال وجعلوها شرطا ضروريا للوحى ومما يدل على ذلك الآراء المنسوبة للفارابى وابن سينا والغزإلى [٢]

وأما الحب الصوفى يعرفه الدكتور غنيمى هلال فى النقد الأدبى ، بأنه حب فلسفى ، يهيم بالجمال لينفذ من ورائه إلى معانيه الروحية والميتافيزيقية ، وقد تأثر اصحابه به أبلغ تأثر بأراء افلاطون فى الحب والجمال واقدم عرض لنظرياتهم وقفنا عليه فى المجتمع الاسلامى:

نجده فى رسائل إخوان الصفا ، ونوجز القول هنا فى آرائهم مشيرين إلى اصلها اليونانى[٣]

---

(١) نفس المصدر السابق

(٢) الخيال مفهوماته ووظائفه ص ٩٨ د/ عاطف جودة

(٣) النقد الادبى صـ٢٠٠ د/ غنيمى هلال .

والحب الحق باعث من أقوى البواعث على التمسك بالفضائل والوقوف على الأخلاق الحميدة وتلقينها .[1] والعشق فى أسمى صوره ، ارتقاء من المحسوسات إلى المعقولات ، ومن الأجسام إلى الأرواح ، نتيجة لتهذيب النفوس وارتقائها ورياضتها ، إذ تتدرج من حب الأشكال إلى حب الصور المجردة فى عالم الأرواح إذ أن جميع المحاسن والزينة ما هى إلا نقوش وأصباغ ورسوم قد زينت بها ظهور الأجسام ، كيما إذا نظرت اليها النفوس الجزئية حنت إليها وتشوقت لها ، لا هياما بها فى ذاتها ، كما يحب الأطفال الدمى ، واللعب ، ولكن لدلالتها ومعانيها ، فالحكماء هم الذين إذا رأوا صفة محكمة او شخصا مزينا، تشوقت نفوسهم إلى صانعها الحكيم ومصدرها الرحيم.

وحنت اليه وتعلقت به ، ومن هنا قالت الحكماء " ان الله هو المعشوق الأول "

ولا يستلزم حب الله والهيام به على هذا النحو تجسيما ، لأن الله يجل عن الشبيه والصورة وإنما يرشد الحسن اليه ، لأنه مصدره ، وهو ذو الجمال المطلق [2]

ولهذا يرى الصوفيه - الذين ينظرون هذه النظرة إلى الجمال - معانى الجمال الروحى من وراء الجمال الحسى متخذين من الجمال المادى وسيلة اليه ، عن طريق التفكير فى الخير المطلق المنزه عن الكيف ، فكانت لأشعارهم ومعانيها الغزلية روعة وجدة ، لا سبيل إليهما إلا بتجاوز الجمال الروحى من وراء الجمال الحسى .

---

(١) انظر رسائل إخوان الصفا جـ٣ ص ٢٦٢ - ٢٦٧

(٢) النقد الادبى صـ ٢٠١ د/ غنيمى هلال .

وكانت فى أشعار الصادقين منهم فى عاطفتهم الروحية معلن ذات وجهين ، فظاهرها منصرف إلى الوسيلة فى الجمال الحسى ، وباطنها مقصود به الغاية فى الجمال الخالد. (١ مكرر)

ولنصرب هنا مثلا بأبيات ابن الغارض [١]

۞۞ ما بين معترك الأحداق والمهج

انا القتيل بلا إثم ولا حرج

۞۞ ودعت قبل الهوى روحى لما نظرت

عيناى من حسن ذاك المنظر البهج

۞۞ لله أجفان عين فيك ساهرة

شوقا إليك وقلب بالغرام شج

هكذا كان الغزل الصوفى ظاهرة عنى بها فلاسفة الصوفية وشعراؤهم ، وهو يعبر عن مبادئ وعقائد عاش لها هؤلاء الصوفيون ، وكانوا يعبرون فيها عن عقيدتهم وإيمانهم ، لأنهم أدخلوها فى مبادئ الدين الاسلامى عن طريق التأويل ، مما لا يتسع المجال هنا لشرحه[٢]

وبذا تكون القصيدة موضوع الدراسة هى مرآة لما عرضناه فى المذاهب النقدية المعاصرة .

(١) ديوان ابن الفارض ص ٤٨.

(٢) النقد الادبى صـ ٢٠١ د/ غنيمى هلال .

بعد القرآن الكريم

١- ابن الفارض والحب الالهى د/ محمد مصطفـــى حلمـــى - لجنـــة التأليف والترجمة والنشر- القاهرة .

٢- ابو القاسم الشابي حياته وشعره للأستاذ / ابو القاســـم محمـــد كـــرو الشركة التونسية للطباعة .

٣- الاعلام – خير الدين الزركلى - دار العلم للملايين بيروت.

٤- الخيال مفهوماته ووظائفة د/ عاطف جودة نصر - ط الهيئة العامـــة للكتاب .

٥- رسائل إخوان الصفا وخلان الوفاء ط القاهرة .

٦- ديوان ابن الفارض تحقيق ودراسة نقدية د/ عبـــد الخـــالق محمـــود نشر عين للدراسات والبحوث الاجتماعية.

٧- ديوان الشاعر " أغانى الحياة " الدرا العربية للكتاب بتونس .

٨- الشابى شاعر الحياة والموت – إلياحاوى دار الكتاب اللبنانى .

٩- النقد الأدبى – د غنيمى هلال جـــ١ دار الثقافة بيروت لبنان .